**أثر اكتشاف النفط على التنمية الاقتصادية في المملكة العربية السعودية: سوق العمل**

من الأمور التي يأنف العرب من ممارستها الأنشطة الحرفية، فهم يحتقرون الأعمال الصناعية عموماً ويحتقرون من يعمل بها. ولذا كانت فئات قليلة فقط من سكان الجزيرة العربية تعمل في هذا المجال، مما جعل الأعمال الحرفية محدودة جداً وبدائية ومقتصرة على صناعات محدودة، مثل: صناعة الأواني الفخارية، والسلاسل، والحبال، والحصر، والمصنوعات الجلدية، والمصنوعات الخشبية. ورغم قلة هذه الأعمال المهنية وضعف فائدتها الاقتصادية، إلا أن أهلها قد زاد تضررهم بسبب انعكاسات "الكساد العظيم" الذي أصاب العالم ابتداء من سنة 1347هـ/ 1929م واستمر قرابة العشر سنوات. وقد تزامن دخول العالم في مرحلة الكساد العظيم مع اكتشاف طريقة استزراع اللؤلؤ في اليابان وإنتاجه بجودة عالية وتكلفة أقل من اللؤلؤ الطبيعي الذي يستخرج من الخليج العربي، وقد تسبب هذا الاكتشاف بأضرار اقتصادية بالغة على معظم العمال المهنيون الذين اعتادوا على العمل في مجال استخراج اللؤلؤ في الخليج العربي. ولذا كان توقيع الحكومة السعودية عقد امتياز البحث والتنقيب عن النفط مع شركة ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا Standard Oil of California في سنة 1352هـ/ 1933م بمثابة المخرج من تلك الأزمة الاقتصادية الخانقة سواءً للحكومة أو للشعب.

منذ البدايات الأولى لأعمال الشركة في المملكة العربية السعودية بدا مجال استخراج النفط والحفر والتنقيب جذاباً للسعوديين الباحثين عن عمل، حيث التحق بالأعمال اليومية للشركة رغم بداياتها المتواضعة ما بين 70 إلى 110 من العمال. وكانت أهم الأعمال التي يؤديها هؤلاء العمال الحفر والحراسة والدلالة. وكان نظام العمل يومياً، حيث يحصل العامل على أجرته في نهاية اليوم. وكان مسؤولو الشركة يراقبون أداء هؤلاء العمال ومدى تحملهم للأعباء وتقبلهم للتوجيهات وحسن تعاملهم مع زملاءهم ورؤساءهم. وبالتالي يوصي مسؤولو الشركة بالاستعانة مجدداً بمن تتوفر فيه تلك المميزات.

ومنذ عام 1355هـ/ 1936م ارتفع الإقبال على العمل في شركة سوكال بسبب رفع مستوى الأجور بمقدار نصف ريال يومياً، وتحول الأجور من يومية إلى شهرية، وإضافة حوافز لمن يعملون لساعات إضافية، وتوفير رعاية صحية واجتماعية للعمال وأسرهم. وبعد عشر سنوات تقريباً -أي مع نهاية الحرب العالمية الثانية- تضاعفت أعداد العاملين لدى الشركة بسبب توجه سوكال لتنفيذ العديد من المشاريع كبناء طريق بري بين الرياض والجبيل، وبناء سكة الحديد بين الرياض والدمام، وبناء مطاري الظهران والهفوف، وبناء ميناء الدمام، ثم المشروع الأضخم وهو مد خط التابلاين. ومع مرور السنوات واستيعاب المجتمع لمفهوم الوظيفة والعمل، أصبح العمل لدى شركة أرامكو من دواعي الوجاهة في مجتمع كان يمقت المهن اليدوية حقبة زمنية سابقة.

ورغم الارتفاع المستمر في أعداد العمال السعوديين لدى أرامكو إلا أنه قد تحدث بعض الانتكاسات لأسباب مختلفة. ولعل من أهم هذه الأحداث إضراب العمال في عام 1364هـ/ 1945م لأسباب غير واضحة تماماً، ولكن يبدو أنه قد اجتمعت عدة عوامل مثل تخفيض عدد الموظفين وتخفيض أجور العمل أدت إلى ذلك الإضراب. امتنع ما يزيد عن 1400 عامل عن العمل لمدة إحدى عشر يوماً، وكانت المفاوضات بين العمال وأرامكو مستمرة خلال مدة الإضراب، ولكن العمال لم يقدموا خلال تلك المفاوضات قيادة محددة لهم، بل كانت تذهب إلى كل لقاء مجموعة مكونة من ثلاثين فرداً مختلفة عن سابقتها لئلا يتمكن مسؤولو الشركة من تحديد قادة الإضراب. فاضطر المسؤولون للرضوخ لمطالب العمال وزيادة الأجور. نتيجة لهذه المشكلة أسست الحكومة السعودية مكتب العمل والعمال، وربطته إدارياً بإمارة المنطقة الشرقية، وذلك لكون فئة العمال لم تكن بعد بذات الأهمية في المناطق الأخرى.

وبعد أن كان متوسط دخل الفرد اليومي عام 1350هـ/ 1930م لا يزيد على نصف ريال في أوساط البادية، وريال في أوساط الحرفيين، ونصف إلى ثلاثة أرباع الريال في أوساط المزارعين، أصبح دخل الفرد في عام 1370هـ/ 1950م يتراوح ما بين خمسة إلى سبعة ريالات. وعن طريق استثمار المدخرات اليومية استطاع بعض هؤلاء العمال أن يستثمر في تجارة السلع الاستهلاكية، كالبقالات، وبيع المرطبات، والملابس والأقمشة، والأدوات الكهربائية. ومن رحم هذا الدخل الفردي ولدت فئة رجال الأعمال وأصحاب الأموال.

ولذا فإن للشركة دور حاسم في نقل المستوى المعيشي لأهل الصحراء إلى مستويات لم يكن أكثرهم تفاؤلاً يحلم بها. فشعب المملكة يدين بقدر كبير من الامتنان لشركة أرامكو؛ إذ أنها ساهمت مساهمة محورية في تطوير التعليم، والصحة، والزراعة، والصناعة، والتجارة، والإسكان، وإمداد الماء. بل إن منطقة المملكة العربية السعودية التي كانت منطقة طاردة وكان أهلها يهاجرون للعمل في المناطق المجاورة أصبحت بعد اكتشاف النفط منطقة جاذبة وبدأ سكان المناطق المجاورة يبحثون عن فرص عمل فيها. وفي الداخل، أصبح العمل في مجال النفط جاذباً للسكان ومصدر رزق لهم.

**المراجع:**

هاري فيلبي: مغامرات النفط العربي، ص 221-222.

عبد العليم أبو هيكل: "العمل والعمالة السعودية حتى نهاية عهد الملك عبد العزيز"، مجلة المؤرخ المصري، العدد 23، السنة 2000، ص231-251.